وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية
وما كانوا أولياءه قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياءه يعني ليسوا أولياء
المسجد الحرام إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون يعني ولكن المشركين لا يعلمون ذلك قوله تعالى وما كان صلاتهم عند
البيت إلا مكاء وتصدية لما ذكر الله تعالى الكفار ليسوا بأولياء البيت الحرام ذكر عقيبه السبب في ذلك وهو أن صلاتهم عنده
كانت مكاء وتصدية والمكاء في اللغة الصفير يقال مكا الطير يمكو إذا صفر والمكاء اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير وقيل هو
طائر يألف الريف سمي بذلك لكثرة مكائه يعني تصفيره والتصدية التصفيق وفي أصله واشتقاقه قولان أحدهما أنه من الصدى
وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم ولا يرجع قولها إلى شيء الثاني قال أبو عبيدة أصله تصدد فأبدلت الدال الواحدة
ياء قال الأزهري والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التي أمروا بها المكاء والتصدية قال
حسان بن ثابت صلاتهم التصدي والمكا قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون
وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزؤون به ويدخلون
أصابعهم في أفواههم ويصفرون فالمكاء جعل الأصابع في الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سألت
أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله إلا مكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه
وسلم إذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطا على النبي صلى الله
عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع
أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس أصح لأن الله سمى ذلك صلاة **فإن قلت** كيف سماها صلاة
وليس ذلك من جنس الصلاة **قلت** إنهم كانوا يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على
حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان
السماح عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى
هذا التصدية من الصد وهو المنع وقوله تعالى فذوقوا العذاب يعني عذاب القتل والأسر في الدنيا وقيل يقال لهم
في الآخرة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله عز وجل إن الذين كفروا ينفقون
أموالهم ليصدوا عن سبيل الله لما ذكر الله عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر بعده عبادتهم المالية التي
لا جدوى لها في الآخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة ابنا عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام
وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد
منهم الجيش في كل يوم عشر جزر وأسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام
وقال الحكم بن عتيبة نزلت في أبي سفيان بن حرب حين أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية كل أوقية اثنان وأربعون
مثقالا وقال ابن أبزى استأجر أبو سفيان يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما أصيب
من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بعيره إلى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان
ابن أمية في رجال من قريش قد أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك
العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش إن محمدا صلى الله عليه وسلم قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا
المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا ففيهم نزلت إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن
سبيل الله أي ليصرفوا الناس عن الإيمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على أمثالهم من المشركين
لينفقوها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فسينفقونها يعني أموالهم في ذلك الوجه

ثم

ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون يعني ما أنفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لأن أموالهم
تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يأملون والذين كفروا يعني منهم لأن منهم من أسلم فلهذا قال والذين كفروا يعني
من المنفقين أموالهم إلى جهنم يحشرون يعني يساقون إلى النار ليميز الله الخبيث من الطيب يعني ليفرق بين الكفار
وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهو الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فإنه قال يميز أهل السعادة
من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل
المراد به إنفاق الكفار في سبيل الشيطان وإنفاق المسلمين في سبيل الله ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا
يعني بعضه فوق بعض فيجعله في جهنم يعني الخبيث أولئك إشارة إلى المنفقين في سبيل الشيطان أو إلى الخبيث هم
الخاسرون على أنهم خسروا الدنيا والآخرة لأنهم اشتروا بأموالهم عقاب الآخرة قوله تعالى قل يعني قل يا محمد
للذين كفروا إن ينتهوا يعني عن الشرك يغفر لهم ما قد سلف يعني ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الإسلام وإن يعودوا
فقد مضت سنة الأولين يعني في إهلاك أعدائه ونصر أوليائه ومعنى الآية هؤلاء الكفار إن انتهوا عن الكفر ودخلوا
في دين الإسلام والتزموا شرائعه غفر لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وإن عادوا إلى الكفر وأصروا عليه فقد مضت سنة
الأولين بإهلاك أعدائه ونصر أوليائه وأجمع العلماء على أن الإسلام يجب ما قبله وإذا أسلم الكافر لم يلزمه
شيء من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة السلامة كيوم ولدته أمه يعني بذلك أنه ليس عليه ذنب قال
يحيى بن معاذ الرازي توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة قال ابن عباس حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ويكون الدين كله لله حتى تكون
الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا إله إلا الله عليها قاتل نبي الله صلى الله
عليه وسلم وإليها دعا وقال محمد بن إسحاق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعني لا يفتن
مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد والشركاء فإن انتهوا يعني عن
الشرك وافتتان المؤمنين وأذيتهم فإن الله بما يعملون بصير يعني فإن الله لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ويثيبهم
حتى يوصل إليهم ثوابهم وإن تولوا يعني وإن أعرضوا عن الإيمان وأصروا على الكفر وعادوا إلى قتال المسلمين (المؤمنين خ)
وأذيتهم فاعلموا يعني أيها المؤمنون أن الله مولاكم يعني أن الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم نعم المولى ونعم
النصير يعني أن الله هو نعم المولى ونعم النصير قوله عز وجل واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول الغنم
الفوز بالشيء يقال غنم يغنم غنما فهو غانم واختلف العلماء هل الغنيمة والفيء اسمان لمسمى واحد أم يختلفان
في التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من أموال المشركين فأخذوه عنوة وأما الأرض
فهي فيء وقال سفيان الثوري الغنيمة ما أصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال ففيه الخمس وأربعة أخماسه
لمن شهد الوقعة والفيء ما صولحوا عليه بغير قتال فليس فيه خمس هو لمن سمى الله وقيل الغنيمة ما أخذ من أموال الكفار
عنوة عن قهر وغلبة والفيء ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشر والجزية وأموال الصلح والمهادنة وقيل إن الفيء والغنيمة
معناهما واحد وهما اسمان لشيء واحد والصحيح أنهما يختلفان فالفيء ما أخذ من أموال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب والغنيمة
ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة بإيجاف خيل وركاب فذكر الله في هذه الآية حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا
أنما غنمتم من شيء يعني من أي شيء كان حتى الخيط والمخيط فأن لله خمسه وللرسول فذكر أكثر المفسرين والفقهاء أن قوله لله
افتتاح كلام على سبيل التبرك وإنما أضافه إلى نفسه تعالى لأنه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه أن سهما منه
لله مفردا لأن الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وإبراهيم النخعي سهم الله وسهم رسوله واحد
والغنيمة تقسم خمسة أخماس أربعة أخماسها لمن قاتل عليها وأحرزها والخمس الباقي لخمسة أصناف كما ذكر الله عز